الحلقات التعليمية في المسجد النبوي

دراسة مقارنة بين الحقب التاريخية منذ البناء وحتى العصر السعودي

الأستاذ الدكتور/ محمد سيد كامل

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

وكيل كلية دار العلوم لشئون خدمة المجتمع وتنمية البيئة

جامعة المنيا – مصر

الكلمات المفتاحية:

الحلقات التعليمية– المسجد النبوي– العصر السعودي

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث موضوعًا دقيقًا أرى أنه حري بالبحث ، ذلك أنه يركز على تتبع الحلقات التعليمية للمسجد النبوي عبر العصور التاريخية، فالمدقق في تاريخ الحرم النبوي يلمس دور اهتمام الصحابة بالتحلق حول الرسول(ﷺ) من أجل أخذ العلم المباشر منه، والبعض منهم لا يكاد يفارقه لحظة ومنهم أهل الصفة، ورغم انتقال عاصمة الخلافة إلى الشام في العهد الأموي؛ إلا أن التعليم بها ظل راسخًا حيث شهد المسجد النبوي ازدحامًا بالعلماء طوال العهد الأموي ومن ثم نجد نشأة لمدرسة الحديث بها.أما الخلفاء العباسيون فقد شجعوا الحلقات العلمية فنجد انتشارًا غير عادي فعلى سبيل المثال نجد حلقة للواقدي (ت٢٠٧هـ) جعلت الخليفة الرشيد يستعين به عند زيارته للمدينة للتعرف على آثارها الإسلامية.

ومن علماء العهد المملوكي أصحاب الحلقات الشيخ عبد الله بن خلف الخزرجي العبادي (ت٧٦٥هـ)، والعالم نور الدين الزرندي (ت٧٦٢هـ)، وغيرهما. وفي العهد العثماني نجد أن حلقات المسجد النبوي أصبحت أعلى مرحلة من مراحل التعليم الديني؛ إلا أن الدراسة لم تكن منظمة فكل طالب متروك لرغباته فيدرس ما يريد ويحضر الدرس الذي يريده.

ومع بداية العصر السعودي عام ١٣٤٤هـ، بدأ تطبيق نظامٍ تعليميٍّ من أرقى الأنظمة التعليمية ووفد للمسجد النبوي طلاب العلم من شتى البقاع، فقامت المملكة

العربية السعودية بتشكيل مجلس للإشراف على شؤون التدريس في المسجد النبوي عرف باسم مجلس الإشراف الديني وغير ذلك من التفاصيل التي تقارن تطور العملية التعليمية داخل الحرم النبوي.

أولاً: مقدمة:

أ: الحلقات التعليمية في عهد الرَّسُولُ(ﷺ) والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم:

فور وصول رسول الله(ﷺ) إلى المدينة سَعَى إلى تخطيطِ مسجدٍ للمُسلمين ليكونَ دعامةً للوحدةِ الإسلامية، ورمزًا لها؛ فلمْ يكن المسجدُ مجرد مكانٍ لأداءِ الصلاة، بلْ كان مُؤسسة إسلامية تؤدي أغراضًا عديدة دينية وسياسية ففيهِ يجلسُ الرَّسُولُ(ﷺ) معلمًا أصحابه أمور دينهم، وقاضيًا بينهم بما أنزل الله(ﷻ)، وفيما يشجر بينهم، ومشاورًا إياهم، ومع الوقت أصبح الرَّسُولُ(ﷺ) يستقبل في المسجد سفراء القبائل ووفود العرب القادمين إليه، كما أصبحت تعقد به ألوية المسلمين عند خروجهم، إما للاستطلاع أو للغزو، كما أصبح مأوى للفقراء من المسلمين.

وكانت الحلقات التعليمية تمثل الشكل الأساسي في تلقي العلم بالمسجد النبوي، أي أن الذين يتلقون العلم يجلسون على الأرض ويشكلون دائرة حول المعلم، الذي يستقبلهم بوجهه، ويلقي عليهم الدروس أو الموعظة وما إلى ذلك، وربما يجلس على كرسي أو مكان مرتفع كالمنصة ليظهر للجميع[1]، وعبر التاريخ لم يخل المسجد النبوي من حلقات العلم حتى يومنا هذا، وكانت الحلقات يدرس فيها: القرآن الكريم، وتفسيره، وعلوم الدين الإسلامي، وعلوم اللغة العربية، ثم مع الوقت درِّس بها الرياضيات، والتاريخ، والجغرافيا، والعلوم الإنسانية، والإدارية، والفلك، والمنطق، والفلسفة، وعلم الفرائض، وغير ذلك من العلوم النافعة[2].

والمدقق في تاريخ الحرم النبوي يلمس حث الرَّسُولُ(ﷺ) أصحابه على الجلوس بحلقات العلم فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك(رضي الله عنه)، أَنَّ رَسُولَ الله(ﷺ) قَالَ: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا» قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: «حِلَقُ الذِّكْرِ»[3]، كما يلمس اهتمام الصحابة بالتحلق حول الرَّسُولُ(ﷺ) من أجل أخذ العلم المباشر منه، والبعض منهم لا يكاد يفارقه لحظة، ومن لم يتمكن كان يتفق مع جار له للحضور بالتناوب

---

(1) الحياة الفكرية في المدينة المنورة في القرنين الأول والثاني للهجرة، عدنان علي الفراجي، الطبعة الأولى، الدار العربية للموسوعات، بيروت- لبنان، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٦١.

(2) التعليم في المدينة المنورة من العام الهجري الأول إلى ١٤١٢هـ/ ٦٢٢م-١٩٩٢م دراسة تاريخية وصفية تحليلية، ناجي الأنصاري، الطبعة الأولى، دار المنار، القاهرة-مصر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص٣١٢.

(3) سنن الترمذي، الترمذي، ج٥، كتاب الدعوات، باب٨٣، حديث رقم ٣٥١٠، ص٥٣٢.

ولعلنا نجد مثال ذلك في صحيح البخاري[١]:«فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاس(ﷺ) عَنْ عُمَرَ(ﷺ) قَالَ كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنْ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ الله(ﷺ) يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ فَنَزَلَ صَاحِبِي الْأَنْصَارِيُّ يَوْمَ نَوْبَتِهِ... الحديث».

كما وردت أدلة كثيرة توضح كون التعليم كان يجري وفق نظام الحلقات التعليمية في المسجد النبوي، فها هو البخاري يفرد في كتاب «العلم» بابًا سماه باب «من قعد حيث ينتهي به المجلس، ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها»، أورد فيه «أَنَّ رَسُولَ الله(ﷺ) بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي المَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ الله(ﷺ) وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ الله(ﷺ)، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا: فَرَأَى فُرْجَةً فِي الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الآخَرُ: فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ: فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ الله(ﷺ) قَالَ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاَثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى الله فَآوَاهُ الله، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا الله مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ الله عَنْهُ»[٢].

ومن المسلَّم به أن الرَّسُولَ(ﷺ) هو المعلم الأول في تلك الحلقات التعليمية بمسجده الشريف، إلا أنه (ﷺ) سمح لغيره من الصحابة بترأس حلقات العلم أثناء عدم وجوده، وكان تلقي العلم في المسجد النبوي –كما ذكرنا– حلقا حلقا[٣]، وقد بوب البخاري[٤] في صحيحه باب «الحلَقِ والجلوس في المسجد»، أي جواز ذلك لتلقي العلم وقراءة القرآن، فكان الصحابة يجلسون في حلقات من أجل تدارس ما سمعوه عن الرَّسُولِ(ﷺ) وفي هذا السياق يقول أنس بن مالك(ﷺ) إن الصحابة كانوا «إذا صلوا الغداة قعدوا حلقًا حلقًا يقرؤون القرآن ويتعلمون الفرائض والسنن»[٥]. ومن أشهر الصحابة الذين ترأسوا الحلقات التعليمية في المسجد النبوي أثناء عهد رسول الله(ﷺ)

(١) صحيح البخاري، الطبعة الأولى، دار ابن كثير، دمشق–سوريا، بيروت– لبنان، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، كتاب العلم، باب التناوب في العلم، حديث رقم ٨٩، ص٣٥.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس، ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، حديث رقم٦٦، ص٢٩.

(٣) نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، السيد محمد عبد الحي الكتاني، تحقيق عبد الله الخالدي، الطبعة الثانية، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت– لبنان، ٢٠١٦م، ج٢، ص١٥١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الحلَقِ والجلوس في المسجد، باب رقم ٨٤، ص١٢٦.

(٥) بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ الهيثمي، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار الفكر، بيروت– لبنان، كتاب العلم، باب الجلوس عند العلم، حديث رقم ٥٥٤، ج١، ص٣٤٥.

جابر بن عبد الله(ﷺ) الذي كانت له حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه بها العلم، كما كان عبد الله بن رواحة(ﷺ) يخلف رسول الله(ﷺ) بعد قيامه فيجمع المسلمين ويفقههم[١].

وكان (ﷺ) إذا صلى الصبح توجه إلى موضع الأسطوانة المسماة اليوم أسطوانة التوبة –إشارة إلى توبة أبي لبابة[٢]– حيث يتحلق حوله الصحابة حلقًا بعضها دون بعض، وكان يحدثهم إلى طلوع الشمس[٣]، كما تفرغ بعض فقراء المسلمين لطلب العلم في المسجد النبوي وتمركزوا في موضع الصفة التي بناها لهم رسول الله(ﷺ) في شمالي المسجد[٤].

ولقد ظل من وظائف المسجد النبوي التعليم والمدارسة طوال حياة الرَّسُولِ(ﷺ)، وتواتر إلينا أمر تعليم الرَّسُولِ(ﷺ) صحابتَه في مسجده في كافة كتب السنة النبوية المطهرة، ومن ثم استمرت هذه الوظيفة في خلافة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم[٥]، هذا العصر الذي يعد امتدادًا للعهد النبوي؛ إذْ أقاموا الحلقات التعليمية بأنفسهم اقتداء بالمعلم الأول(ﷺ) بدافع من حرصهم على استمرارية التعليم في المسجد النبوي، بالإضافة إلى ذلك فقد كلفوا غيرهم بإدارة التعليم في تلك الحلقات فأبو بكر الصديق(ﷺ) كلف خمسة وعشرين رجلاً من قريش، وخمسين رجلاً من الأنصار بالكتابة ومن ثم العرض على سعيد بن العاص(ﷺ) الذي كان من كبار المربين والمعلمين آنذاك، وفي عهد عمر بن الخطاب(ﷺ) توسعت الحلقات التعليمية بالمسجد النبوي فكان الصحابة –رضوان الله عليهم– يجلسون بها ليقرؤوا القرآن الكريم ويتدبروا معانيه، كما اهتم بتكليف المعلمين تعليم الصبيان ليلتحقوا بعد تعلم القراءة والكتابة، والحساب بالحلقات التعليمية المنتشرة في المسجد النبوي[٦]، فضلاً عن سماحه لتميم الداري(ﷺ) بأن يعظ الناس في المسجد النبوي ويعلمهم يومًا؛ وزاده عثمان بن

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ج١، ص٢٢٣؛ التراتيب الإدارية، السيد محمد عبد الحي الكتاني، ج٢، ص١٥٣.

(٢) أنزل الله(ﷻ) فيه عندما قبل توبته قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) (سورة الأنفال: آية ٢٧).

(٣) رسالة المسجد التربوية، عبد العزيز راشد علي الرشيد، رسالة ماجستير، إشراف د/ ربيع عمر بشير، قسم التربية، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص١٩.

(٤) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، السمهودي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ج٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٤٥٣؛ الحياة الفكرية في المدينة المنورة في القرنين الأول والثاني للهجرة، عدنان علي الفراجي، ص٦٤.

(٥) رسالة المسجد التربوية، عبد العزيز راشد علي الرشيد، ص٩– ١٠.

(٦) الدور التربوي للمسجد النبوي الشريف، سعود بن بنيان بن عواد الصيدلاني الجهني، رسالة ماجستير، إشراف السعيد محمود السعيد، قسم التربية الإسلامية، كلية التربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ، ص١٦٢.

عفان(ﷺ) في عهده أن يقص ويعظ يومين في الأسبوع، وهذا يعد بمثابة التدرج التعليمي في عصر الخلفاء الراشدين[١].

كان عبد الله بن عباس(ﷺ) يفتي في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما إلى يوم مات، وكان مجلسه بالمسجد منوع العلوم، فصنف من الناس يأتونه للشعر، وناس للأنساب، وناس لأيام العرب، ووقائعها، وهو يرد على كل سائل، كما روي عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها أنها نظرت إلى ابن عباس(ﷺ) ومعه الحلَقُ ليالي الحج، وهو يُسأل عن المنَاسك، فقالت: «هو أعلم بالمناسك»[٢].

ولقد بنى عمر بن الخطاب(ﷺ) رحبة في ناحية المسجد النبوي تسمى البيطحاء، وجعلها مخصصة لإنشاد الشعر، أو نحوه، حتى لا يؤثر ارتفاع الصوت في المصلين أو الدارسين للعلوم الأخرى في المسجد[٣]، ومن ثم نلحظ أن الحلقات بدأت في ذلك العصر تزداد في المسجد النبوي وللتدليل على ذلك نورد جزءًا من رواية جندب بن عبد الله البجلي قال: «أتيت المدينة ابتغاء العلم فدخلت مسجد رسول الله(ﷺ) فإذا الناس فيها حلق يتحدثون، فجعلت أمضي الحلق حتى أتيتُ حلقة فيها رجل شاحب عليه ثوبان... قال: فجلست إليه فتحدث بما قُضى له، ثم قام، قال: فسألتُ عنه بعدما قام، من هذا؟ قالوا: هذا سيد المسلمين أُبَيّ بن كعب»[٤].

ثانيًا: الحلقات التعليمية قبل العصر السعودي:

أ:الحلقات التعليمية في العصر الأموي والعباسي:

انتقلت الخلافة من المدينة المنورة إلى دمشق في العصر الأموي؛ إلا أن هذا الانتقال لم يقلل من مكانة المدينة المنورة في نفوس المسلمين فظلت المدينة المنورة ومكة المكرمة منارات الدين ومراكز الثقافة الإسلامية، حيث شهد المسجد النبوي ازدحامًا بالعلماء طوال العصر الأموي، وأبرزهم من صحابة رسول الله(ﷺ) الذين يصعب على الباحث حصرهم ممن امتدت حياتهم إلى تلك الحقبة، وكانت لهم حلقات تعليمية بالمسجد النبوي، مثل: زيد بن ثابت (ت٤٥هـ) الذي كان رأسًا بالمدينة في

(١) تاريخ المدينة المنورة، ابن شبّه، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مكة المكرمة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج١، ص١١.

(٢) كتاب الطبقات الكبير، ابن سعد، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة– مصر، ج٢، ص٣١٥–٣١٨.

(٣) الحياة الفكرية في المدينة المنورة، عدنان علي الفراجي، ص٦٥.

(٤)كتاب الطبقات الكبير، ابن سعد، ج٣، ص٤٦٥.

القضاء والفتوى والقراءة والفرائض[1]، وأبو هريرة(ﷺ) (ت٥٧هـ) الذي خصص حلقته يوم الجمعة قبل الصلاة عند منبر الرَّسُولِ(ﷺ) لعلم الحديث[2]، وعبد الله بن عمر بن الخطاب (ت٧٣هـ) الذي قيل إنه كان في زمان ليس له فيه نظير، وظل بعد رسول الله(ﷺ) ستين سنة يقدم عليه وفود الناس من طلبة العلم حتى قيل إن من أخذ بقول ابن عمر لم يدع من الاستقصا شيئًا[3]، وأبو سعيد الخدري سعد بن مالك بن سنان(ت٧٤هـ)[4]، وجابر بن عبد الله (ت٧٨هـ) الذي كان آخر الصحابة موتًا بالمدينة المنورة[5].

وأخرج هؤلاء مدرسة من كبار التابعين عرفت باسم مدرسة الفقهاء السبعة[6] أو مدرسة الحديث تمركزوا بالمسجد النبوي وحلقاته وهم: سعيد بن المسيب(ت٩٤هـ) الذي بلغ مكانة عالية جعلته يتخذ مكانًا معلومًا في مسجد رسول الله(ﷺ) يجلس فيه[7]، وقيل عن مجلسه: "ما كان أحد يأنف أن يأتي حلقة سعيد بن المسيب"[8]، كذلك عروة بن الزبير بن العوام(ت٩٤هـ)، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث(ت٩٤هـ)، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود(ت٩٨هـ)، وسليمان بن يسار الهلالي(ت١٠٠هـ) الذي اتخذ ما بين القبر والمنبر موضعًا لحلقته العلمية وجعل توقيتها من أول النهار إلى ارتفاع الضحى، وخارجة بن زيد بن ثابت(ت١٠٠هـ)، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق(ت١٠٨هـ) وهذا الأخير يقال إنه كان له مجلسان علميان في اليوم الواحد، وقيل بل كان له مجلس واحد في أول النهار ثم غير توقيته فجعله في الليل أو العكس، وهناك من أخرج أبا بكر بن عبد الرحمن وجعل مكانه أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف(ت٩٤هـ) أو سالم بن عبد الله بن

(1) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، ج٣، ص٢٣.

(2) الحياة الفكرية في المدينة المنورة في القرنين الأول والثاني للهجرة، عدنان علي الفراجي، ص٦٢.

(3) الإصابة، ابن حجر، ج٤، ص١٠٧-١٠٩.

(4) المصدر السابق، ابن حجر، ج٧، ص٨٤.

(5) نفسه، ابن حجر، ج١، ص٢٢٢-٢٢٣.

(6) وهم بعض كبار التابعين من الفقهاء والمفتين بالمدينة المنورة في القرن الأول للهجرة، والذين شكلوا مجالس علمية قيل لها مدرسة الفقهاء العشرة، أو الفقهاء الاثني عشر، لكن اسم الفقهاء السبعة هو الأشهر (موطأ الإمام مالك، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبوظبي- الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ج١، المقدمة ص١٤)

(7) الحياة الفكرية في المدينة المنورة في القرنين الأول والثاني للهجرة، عدنان علي الفراجي، ص٦٣.

(8) كتاب الطبقات الكبير، ابن سعد، ج٢، ص٣٢٨.

عمر(ت١٠٦هـ)، ولا خلاف في أن المسجد النبوي آنذاك وجد مئات الفقهاء والمحدثين إلا أن لهؤلاء كان أثرا كبيرًا في الحراك العلمي والديني بالمدينة[١].

كما تواصلت الحلقات التعليمية بالمسجد النبوي في العصر العباسي رغم انتقال مقر الخلافة من دمشق إلى بغداد، فظل مسجد رسول الله(ﷺ) يؤدي دوره في نشر الدين والعلم عن طريق حلقاته التعليمية في هذا العصر الذي كان –نتيجةً لتشجيع خلفاء بني العباس للعلم– عصر النضج الفكري، والمنافسة الفقهية، ففيه دونت علوم القرآن، والسنة، والكلام، واللغة، والفقه[٢]، أنجب هذا العصر عددًا كبيرًا من العلماء الذين اعترف لهم الجمهور بالإمامة الفقهية، أمثال: زيد بن أسلم(ت١٣٦هـ) الذي كانت له حلقة للعلم بالمسجد النبوي، قيل إنه اجتمع بها ذات يوم أربعون فقيهًا للاستزاده من علمه[٣]، وربيعة الرأي بن أبي عبد الرحمن(ت١٣٦هـ) وكانت حلقته التعليمية بالمسجد مقصدًا لذوي السن والفضل، يجتمع بها ثلاثون من أهل العمائم، وكانت حلقته مشتركة بينه وبين أبي الزناد(ت١٣٠هـ) ثم افترقا وصارت لكل منهما حلقة مستقلة، وبلغت شهرته أنه وصف بأنه صاحب معضلات أهل المدينة ورئيسهم في الفُتيا[٤].

وكما رأينا فالمدينة المنورة شرفها الله(ﷻ) بنصيب الأسد من الصحابة المشهورين في مجال العلم والفتاوى، وتراثهم انتقل إلى كبار التابعين، وقد سلم هذا الجيل المسؤولية لجيل التابعين الأصغر، ومع رحيل جيل كبار التابعين تقريبًا في نهاية القرن الأول للهجرة انتقل علم الحجاز لنا على يد الإمام مالك ابن أنس بن مالك(ت١٧٩) صاحب أحد المذاهب الأربعة، والذي اتخذ لنفسه حلقة بالمسجد النبوي بعد أن تتلمذ على يد علماء تلاميذ مدرسة الفقهاء السبعة[٥]، فهو القائل عن نفسه: «ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك»[٦]، وهو القائل عن علم الحديث: «إذا خرج الحديث عن الحجاز انقطع نخاعه»[٧].

---

(١) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، السيوطي، تحقيق أبي قتيبة نظر محمد الفاريابي، الطبعة الثانية، مكتبة الكوثر، بيروت– لبنان، الرياض–المملكة العربية السعودية، ١٤١٥هـ، ج٢، ص٧٠٨؛ الحياة الفكرية في المدينة المنورة في القرنين الأول والثاني للهجرة، عدنان علي الفراجي، ص٦٣–٦٤.

(٢) الدور التربوي للمسجد النبوي الشريف، سعود بن بنيان، ص١٦٩.

(٣) تذكرة الحفاظ، الذهبي، صحح بعناية وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٣٧٤هـ، ج١، ص١٣٢.

(٤) الطبقات، ابن سعد، ج٧، ص٥٠٩–٥١٠.

(٥) مقدمة موطأ الإمام مالك، ص٣٣–٣٥.

(٦) تذكرة الحفاظ، الذهبي، ج١، ص٢٠٨.

(٧) تدريب الراوي، السيوطي، ج١، ص٨٨.

وكان موضع الحلقة التعليمية الخاصة بالإمام مالك مكان عمر بن الخطاب(ﷺ)، وهو ذاته المكان الذي كان يوضع فيه فراش رسول الله(ﷺ) في المسجد إذا اعتكف، ولما زاد عدد الناس في حلقة الإمام مالك طُلِبَ منه اتخاذ مستملٍ ليسمع الناس فرفض ذلك كراهةَ أن يعلو صوت أحد بحديث رسول الله(ﷺ)؛ خشية أن يعد هذا رفع لصوت أحد فوق صوت رسول الله(ﷺ) -المقصود أحاديث الرَّسُولِ(ﷺ)- إلا أنه عندما انقطعت حلقته بالمسجد النبوي ونقلها إلى بيته اضطر لاتخاذ مستملٍ مع تزايد الناس[1].

ويبدو أن بعض الحلقات التعليمية كان لها مكانٌ مخصوصٌ في المسجد النبوي خلال الحكم الأموي والعباسي، ولاسيما إذا كان العالم مشهورًا، فما بين القبر والمنبر كانت تعقد الحلقات التعليمية للقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله، وسليمان بن يسار، وعلي بن الحسين (ت٩٤هـ)، ثم جلس فيه عبد الرحمن بن القاسم، وعبيد الله بن عمر بن حفص، ثم جلس فيه بعدهما مالك بن أنس، وفي صحن المسجد كان مقر الحلقة التعليمية لعبد الرحمن بن هرمز (ت١١٧هـ) لمدة ثلاث عشرة سنة، والأمثلة كثيرة[2].

ومن الثابت أن أهل العلم في القرون الأولى لم يتقاضوا رواتب من الحكومات، فيما عدا بعض الجوائز والصلات المتقطعة وكان اعتماد العلماء على أنفسهم في شؤون معاشهم، لكن مع الوقت بدأ بعض أصحاب الحلقات يتقاضون بعض الأجر مثلما فعل أحد تلامذة الإمام مالك ويدعى حبيب؛ إذْ كان يقرأ على مالك وكان يأخذ على كل عرضة دينارين من كل إنسان، ولعظيم فائدة العلم الذي كان يلقيه عليهم من موطأ الإمام مالك زاده الناس من أنفسهم[3].

وطلاب هذه الحلقات التعليمية هم خليط من أفراد المجتمع الإسلامي؛ لا طبقية بينهم ولا تفاضل، لا يرد أحد عن الاستماع إلى ما يدرس، ولا يمنع أحد عن المناقشة وإبداء الرأي والاستفسار عما خفي أو جهل[4]، وأبرز الأمثلة على المساواة بينهم عندما طُلب من الإمام مالك أن يؤثر ويكرم أحد طلابه -جعفر بن إبراهيم الطالبي- في

(1) مقدمة موطأ الإمام مالك، ج١، ص٤٥-٤٦.

(2) الحياة الفكرية في المدينة المنورة في القرنين الأول والثاني للهجرة، عدنان علي الفراجي، ص٦٤.

(3) موطأ الإمام مالك، ج١، ص٤٩.

(4) رسالة المسجد التربوية، عبد العزيز راشد علي الرشيد، ص٢٢.

مجلسه جاء رده، «ما هو عندنا وفيره إلا سواء، إنما هي مجالس العلم، السابق إليها أحق بها.. »[١].

كذلك من أبرز آداب تلك الحلقات التعليمية الصمت والإنصات إلى العالم، وهذا من سنة العلم في الإسلام المتوارثة منذ عهد رسول الله(ﷺ)، ومن أطيب الأمثلة على ذلك قول محمد بن عجلان –وهو أحد أعلام أتباع التابعين بالمدينة وممن تعلموا على يد زيد بن أسلم–: «ما هبت أحدًا هيبتي زيد بن أسلم[٢]»، ويُوصف مجلس الإمام مالك بأنه: «مجلس وقار وحلم، ..ليس في مجلسه شئ من المراء واللغط، ولا رفع صوت، إذا سئل عن شيء فأجاب سائله لم يقل له: من أين رأيت هذا؟..»[٣]. وقيل أيضًا: «كان جلساء مالك كأن على رؤوسهم الطير سمتًا وأدبًا»[٤].

ولقد شهد العصر العباسي تنوع الحلقات التعليمية في المسجد النبوي وتعددها، فنجد حلقة فقه وبجانبها حلقة نحو، وحلقة للشعر الديني، وحلقة للتاريخ ورواية الأخبار، وحلقة للحديث، والناس تجتمع حول هذه الحلقات وتلك تبعًا لشهرة المعلم وسعة علمه، مما شكل حلقات متباينة في الكبر والصغر[٥].

وكان العلماء بالمسجد النبوي منذ القرون الأولى يتبعون في منح من حضر حلقاتهم وواظب عليها "إجازة علمية"، فإذا ما تحقق الشيخ من استيعاب الطالب للعلم، كتب له شهادة على الورقة الأولى والأخيرة من الكتاب الذي قام بتعلمه على يده، تفيد بأنه قرأ على شيخه، وأتقن ما فيه، وتلك الشهادة تعد دليلًا على أن الطالب استوعب موضوع الكتاب، وأنه مجاز بتدريسه وروايته للآخرين، ويشترط أن يكون المجيز عالمًا ، متقنًا لغته، ثقة في دينه، وأن يكون المستجيز من أهل العلم[٦].

ب: الحلقات التعليمية في عصر المماليك:

تعاقبت على الدولة الإسلامية التغيرات التاريخية، وتكالبت عليها الأمم، وتلاحقت المحن، سواء هجمات الصليبيين أم اجتياح التتار، والتي نتج عنها انقسام

---

(١) موطأ الإمام مالك، ص٤٣.

(٢) تذكرة الحفاظ، الذهبي، ج١، ص١٣٣.

(٣) موطأ الإمام مالك، ص٤٧.

(٤) الحياة الفكرية في المدينة المنورة، عدنان علي الفراجي، ص٦٨.

(٥) الدور التربوي للمسجد النبوي الشريف، سعود بن بنيان، ص١٧٣.

(٦) المدينة المنورة في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م) دراسة تاريخية، عبد الرحمن مديرس المديرس، الطبعة الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض– المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص٢٤٨-٢٤٩.

الدولة إلى دويلات، لكل واحدة وال، بل تمضي نحو أربعة قرون هي الرابع والخامس والسادس والسابع، فلا ينقل لنا التاريخ نشاطًا وافرًا في الفكر والعلوم من أهل هذا البلد الطاهر، وقد كان الازدهار الأدبي –كنموذج للعلوم– قد انتقل في ذلك الوقت إلى شمال الجزيرة العربية، وكثرت المنافسات بين الدول على الحكم والخلافة[١]، ولقد تأثرت الحركة العلمية في المدينة المنورة من جراء الأحداث التاريخية التي مرت بها الجزيرة العربية بعامة والحجاز بخاصة، ومع هذا فقد كان في المدينة المنورة حركة علمية تشمل كافة الجوانب الدينية في الفقه والحديث، بفضل تتابع المحدثين الذين كانوا يروون أقوال الرَّسُولِ(ﷺ) وأعماله، محدثًا عن محدث، كما كانت المدينة تأوي إليها أفئدة كثير من العلماء، يُحصِّلون العلم ويفيدونه، فيكونون مصدر علم[٢].

أي أن الحركة العلمية بالمسجد النبوي حافظت على استقرارها وازدهارها – نوعًا ما– بعيدًا عن التغيرات السياسية، فها هو ابن فرحون[٣] يصف هذه الحالة العلمية: «كان للحرم الشريف أبهة عظيمة، ومنظر بهي، كنت إذا دخلت المسجد الشريف وجدت الروضة المشرفة قد غصت بالمشايخ..»، ويذكر ابن رشيد الفهري السبتي[٤] (ت٧٢١هـ) أنه تلقى العلم على يد اثنين من العلماء من أصحاب تلك الحلقات التي يبدو من حديثه أنها حلقة مشتركة بينهما فيقول: وممن لقيناه بطيبة ... الشيخان الفاضلان الشيخ الإمام العالم ... عفيف الدين أبو محمد عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن فارس بن راض العُلْثي .. ابن الزجاج البغدادي، وابن أخيه الشيخ الجليل أبو القاسم عبد الحميد بن أحمد، فمما قرئ عليهما وأنا أسمع عند علامة حدّ الجدار الجوفي الأصلي قبل الزيادة في مسجد المصطفى صلوات الله عليه...".

وقد اشتمل التدريس في ذلك العصر على المسجد النبوي ومنازل العلماء مثلما ذُكر عن العالم بهاء الدين عمر بن محمد الهندي الحنفي(ت٧٥٨هـ) الذي كان منقطعًا

(١) المدينة المنورة في التاريخ دراسة شاملة، عبد السلام هاشم حافظ، الطبعة الثالثة، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي، طبعة الوكالة العامة للتوزيع، دمشق– سوريا، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص١٥٤.

(٢) التعليم في المدينة المنورة، ناجي الأنصاري، ص٢٨٥.

(٣) تاريخ المدينة المنورة المسمى نصيحة المشاور وتعزية المجاور، قابل أصوله وعلق عليه حسين محمد علي شكري، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت– لبنان،١٤١٦هـ، ص١٧٩.

(٤) ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ج٥، ص٢٦.

للتدريس في المسجد النبوي غالب النهار، وكان من حرصه على تلاميذه أنه كان يبعث للطالب إذا تأخر عن الحضور، كما كان يقرأ عليه بعض الطلبة في بيته بالليل[١].

وممن كانت له حلقة تعليمية في العصر المملوكي، العلامة نور الدين الزرندي(ت٧٦٢هـ) المحدث بالمسجد النبوي، والذي اكتسب مكانته من كثرة رحلاته في طلب العلم، وله مؤلف باسم "المفاخرة بين مكة والمدينة" بالنظم والنثر[٢]، والشيخ عبد الله بن أحمد بن خلف المطري الخزرجي العبادي(ت٧٦٥هـ)، نسبته إلى المطرية بمصر، وهو مؤرخ حافظ للحديث، كان رئيس المؤذنين بالمسجد النبوي، من كتبه "الإعلام فيمن دخل المدينة من الأعلام[٣]، والعالم أبو الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الشهير بالسخاوي(ت٩٠٢هـ)، وكانت حلقته التعليمية تجاه الحجرة النبوية[٤].

لقد اجتذبت تلك الحلقات أعدادًا كبيرة من طلاب العلم من داخل المدينة وخارجها، فكان الشيخ يقرر الموضوعات التي يرغب في تدريسها، والطريقة الملائمة، كما كان للطالب أن يختار شيخه، والموضوع الذي يرغب في تعلمه، وله حرية الانتقال من حلقة إلى أخرى حسب رغبته، إلى أن يستقر مع حلقة شيخ يلائم تطلعاته الدراسية، وكان جلوس الشيخ وطلابه على الحصير، يلتزم فيه الطلاب الإنصات إلى شيخهم، الذي يستخدم طريقة الإملاء والقراءة، ثم يفتح باب النقاش في نهاية حلقته الدراسية، تلك الحلقات التي تنوعت بين الحديث والتفسير وعلم القراءات والفقه والأدب وعلوم العربية والتصوف والحساب والجبر والمنطق وغير ذلك[٥].

وقد تستمر هذه الحلقات في القيام بواجبها من بعد صلاة الفجر حتى بعد صلاة العشاء، حسب الوقت المخصص لكل حلقة من الحلقات[٦].

ج: الحلقات التعليمية في عصر العثمانيين:

اتفق المؤرخون على جعل عام ٩٢٣هـ هو الحد الفاصل بين تاريخ المماليك وبداية العصر العثماني، وأصبح هذا التاريخ الفاصل بداية حقبة جديدة انتقلت فيها المدينة المنورة من سلطة وحكم المماليك إلى سلطة وحكم العثمانيين عقب دخول سليم

---

(١) المدينة المنورة في العصر المملوكي، عبد الرحمن مديرس المديرس، ص٢٤٦.

(٢) المدينة المنورة في التاريخ دراسة شاملة، عبد السلام هاشم حافظ، ص١٥٤-١٥٥.

(٣) المرجع السابق، عبد السلام هاشم حافظ، ص١٥٥.

(٤) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة، شمس الدين السخاوي، عني بطبعه أسعد طرابزوني الحسيني، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص٩، ١١.

(٥) المدينة المنورة في العصر المملوكي، عبد الرحمن المديرس، ص٢٤٧-٢٤٨.

(٦) التعليم في المدينة المنورة، ناجي الأنصاري، ص٣١٢.

الأول إلى مصر[١]، ويبدو أن الدولة العثمانية لم تهتم بإدخال أي تطورات أو تحسينات لتنشيط الحركة العلمية بالمدينة المنورة، فالجهود التي كانت تبذل للتعليم في المدينة آنذاك هي جهود فردية، ليس للحكومة العثمانية أي تدخل في شؤونها[٢].

وعُدت الدراسة في حلقات المسجد النبوي حينئذ أعلى مرحلة من مراحل التعليم الديني والعربي، وكانت تُدرس فيه العلوم الدينية الإسلامية، والعربية، والتاريخ، والتراجم، والفلك، والرياضيات، والمنطق، والفلسفة، والفرائض، والصرف، والنحو، إلا أن هذه الدروس كانت بغير نظام مدون أو إدارة مسؤولة أو مراقبة أو اختبارات منظمة، وكان الكثير من العامة يشترك في دروس الحلقات للاستماع والتبرك فقط؛ لذا لم تكن تأتي بالثمار الرجوة[٣].

ومن أشهر أصحاب الحلقات في العصر العثماني الشيخ عبد العزيز عبد الواحد بن محمد بن موسى المغربي (ت٩٦٤هـ)، أصله من المغرب، وهاجر إلى المدينة، واعتبر شيخ قرائها، ومن مؤلفاته "منهج الوصول في أصول الدين"[٤]، والشيخ محمد بدر الدين الرومي الأقحصاري الحنفي (ت١٠٠١هـ) ولي مشيخة المسجد النبوي سنة ٩٨٢هـ، وكان مفسرًا وأديبًا ومن مؤلفاته :"التنزيل في القرآن الكريم"[٥].

والشيخ محمد بن محمد بن عبد القادر الكازروني الزبيري (ت١٠٣٧هـ) والذي اتخذ حلقته في الروضة الشريفة، وتولى إفتاء المدينة المنورة وإمامة الشافعية داخل المسجد[٦]، والشيخ محمد مكي بن عبد الكريم بن أحمد بن عبد الرحمن بن القاضي محمد شمس الدين (ت١٠٨١هـ)، ولد بمكة وتأدب بها، ورحل إلى بلاد الروم، ثم رجع منها بقرار سلطاني يقضي بتوظيفه إمامًا وخطيبًا بالمسجد النبوي[٧]، والشيخ إبراهيم الكوراني (ت١١٠١هـ) الذي يعد حُجة في علم مصطلح الحديث مما حدا بطلبة العلم شد الرحال من شتى البقاع للدراسة في حلقته التعليمية[٨]، والشيخ أحمد

---

(١) المرور بين العلمين في مفاخرة الحرمين، الزرندي المدني، تحقيق محمد العيد الخطراوي، الطبعة الأولى، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية،١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٣١.

(٢) التعليم في المدينة المنورة، ناجي الأنصاري، ص٣١١.

(٣) التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني، محمد عبد الرحمن الشامخ، الطبعة الثانية، الرياض- المملكة العربية السعودية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٦١، ٦٣.

(٤) المدينة المنورة في التاريخ دراسة شاملة، عبد السلام هاشم حافظ، ص١٥٨.

(٥) المرجع السابق، عبد السلام هاشم حافظ، ص١٥٩.

(٦) الدور التربوي للمسجد النبوي الشريف، سعود بن بنيان، ص١٧٥.

(٧) المرور بين العلمين في مفاخرة الحرمين، الزرندي المدني، ص٢٦.

(٨) الدور التربوي للمسجد النبوي الشريف، سعود بن بنيان، ص١٧٥.

بن يوسف بن عبد الكريم بن أحمد (ت١١٢٦هـ)، وكان قد نشأ على طلب العلم حتى أصبح من أصحاب الحلقات ودرَّس بالمسجد النبوي، وتولى الخطابة والإمامة فيه[١].

ومن أصحاب الحلقات في مطلع القرن الثالث عشر الهجري الشيخ محمد سعيد دفتردار (ت١٢٦٣هـ)، الذي جمع بين فضيلتي العلم والجهاد، فحفظ القرآن الكريم في المدينة المنورة، ثم درس على يد علماء المسجد النبوي، وبعد ذلك درَّس الحديث في حلقته بالمسجد النبوي[٢].

ولمكانة الحلقات التعليمية كان الطلاب المتخرجون من المدارس الدينية والكتاتيب، ممن لهم رغبة في استكمال دراستهم بالمسارعة بالالتحاق بالحلقات بالمسجد النبوي، حيث كانت تلك الحلقات عامرة بالطلاب، بعضهم يحضر الوعظ والإرشاد والفقه والتوحيد رغم عدم نظامية التعليم -كما قلنا- حيث كان كل طالب موكلًا إلى رغباته وجهده في الدراسة، ونوع الدرس الذي يريده، غير أن المدرس كان إذا آنس من الطالب كفاءة في الدراسة يعطيه شهادة خاصة بصلاحيته للتدريس، وبالعلوم التي درسها[٣]، وغالب العلماء كانوا لا يتقاضون مرتبًا أو أجرًا من وراء ذلك، بل يبتغون الأجر والثواب من الله(ﷻ)[٤].

ويرى ناجي الأنصاري[٥] أن العدد الكبير من حلقات العلم، والأعداد الكبيرة من الطلاب المتحلقة حول العلماء وما ينجم عن ذلك من ازدحام شديد، أو أصوات مختلطة، تتحدث في العلوم المختلفة، ومن تنقل المتعلمين من حلقة إلى أخرى، ووجود أعداد كبيرة من المستمعين من جميع البلاد الإسلامية، كل ذلك لا يقلل من شأن تلك الدروس، ومن قدر العلماء الأفاضل، وإنما يعطينا صورة واضحة عن اطمئنان المتعلمين لعلماء المسجد النبوي الشريف.

ورغم ما أُصيبت به المؤسسات التعليمية بولاية الحجاز في آخر العصر العثماني من ضعف في الوسائل والإمكانات فقد قام المسجدان الشريفان بدور مهم في حفظ التقاليد العلمية التي ورثتها البلاد المقدسة منذ القرون الإسلامية الأولى، وإذا لم

---

(١) المرور بين العلمين في مفاخرة الحرمين، الزرندي المدني، ص٢٧.

(٢) أئمة المسجد النبوي في العهد السعودي ١٣٤٥- ١٤٣٦هـ، عبد الله بن أحمد آل علاف الغامدي، الطبعة الثانية، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، دار الطرفين، الطائف- المملكة العربية السعودية، ١٤٣٦هـ، ص١٧.

(٣) التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني، محمد عبد الرحمن الشامخ، ص٦٥.

(٤) التعليم في المدينة المنورة، ناجي الأنصاري، ص٣١٢.

(٥) المرجع السابق، ص٣١٣.

تكن الظروف الاقتصادية والاجتماعية قد مكَّنت العدد الأكبر من أهل الحجاز من أن يتجهوا في آخر العصر العثماني إلى العلم، والسعي إلى تحصيل المعارف، فإنهم قد فعلوا ذلك بعد أقل من عقدين من الزمن، حينما أصبح الحجاز جزءًا من المملكة العربية السعودية التي شهدت نهضة علمية شاملة فتحت على إثرها مجالات العمل وفرص العيش الكريم أمام المتعلمين(١).

ثالثًا: الحلقات التعليمية في العصر السعودي:

تُعد الدولة السعودية الثالثة هي البداية الفعليّة لنشأة المملكة العربية السعودية؛ وهي وريثة الدولتين السعوديتين "الأولى، والثانية"، وقد تأسست هذه الدولة في ٥ شوال ١٣١٩هـــــ/ ١٥ يناير ١٩٠٢م على يد صاحب الجلالة الملك "عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود" –رحمه الله– (شوال ١٣١٩هـ– ربيع الأول ١٣٧٣هـ)، وذلك في إطار جهوده لتوحيد البلاد في دولة سعودية حديثة تُعيد المناطق والأقاليم التي كانت تابعة للدولتين السعوديتين الأولى، والثانية(٢)؛ وقد تمكّن الملك عبد العزيز من دخول مدينة الرياض ليؤسس بها المملكة العربية السعودية (الدولة السعودية الثالثة)(٣).

بدأ العصر السعودي في المدينة المنورة في ١٩ جمادى الأولى ١٣٤٤هـ، عقب مبايعة أهل المدينة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز على يد ابنه الأمير محمد(٤)، وكانت المدينة المنورة تعيش قبل ذلك موجات متوالية من الاضطرابات، والحصار والجوع والتشريد. ففي مطلع عام ١٣٣٧هـ كانت المدينة شبه خالية من أهلها، تذرع الدوريات العثمانية المدججة بالسلاح شوارعها، فقد أمر قائد الحامية العثمانية في المدينة فخري باشا بإفراغها من أهلها استعدادًا للمعركة الفاصلة، ولا ريب أن خروج أهل المدينة إلى شتى البقاع وخاصة الشام، قد عطل سائر جوانب الحياة الاقتصادية،

---

(١) التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني، محمد عبد الرحمن الشامخ، ص١٢٩.

(٢) دور المملكة العربية السعودية في العالم الإسلامي، محمد صادق محمد إسماعيل، الطبعة الأولى، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة– مصر، ١٤١٣هـــــ/٢٠١٠م، ص٢٣؛ الدولة والمجتمع– محددات تكوّن الكيان السعودي، محمد بن صنيتان، الطبعة الأولى، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت– لبنان، ١٤٢٩هـــــ/٢٠٠٨م، ص٢٦.

(٣) توحيد المملكة العربية السعودية، محمد المانع، ترجمة عبد الله الصالح العثيمين، ط٢، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض– السعودية، ١٤١٥هـــــ/٢٠١٢م، ص٤١.

(٤) تاريخ ملوك آل سعود، سعود بن هذلول، تقديم وإشراف محمد العبودي، الرياض– المملكة العربية السعودية، ١٣٨٠هـ، ص١٧٧؛ ذكريات العهود الثلاثة، محمد حسين زيدان، الرياض– المملكة العربية السعودية، ١٤٠٨هـ، ص١٠٩.

والاجتماعية، وشلت الحياة الثقافية بها بخروج العلماء والأدباء، ولم يعد ثمة وجود للمجالس الثقافية والحلقات التعليمية[١].

إلا أنه مما لا شك فيه أن بداية العصر السعودي في المدينة المنورة كانت سلسة، وآمنة، تؤذن بحياة جديدة وتغيرات قادمة في كثير من جوانبها، فالحصار الذي –أشرنا إليه– رغم أنه امتد من نهاية جمادى الآخرة ١٣٤٣هـ إلى ربيع الأول ١٣٤٤هـ، والذي لم يخل مـن مناوشات محدودة ومعارك قليلة على مشارف المدينة وفي بعض ضواحيها[٢].إلا أن أهل المدينة وقيادتها بايعوا بترحاب السلطان عبدالعزيز –وكان هذا لقبه الرسمي حينئذ–بعد أخذ الأمان لأهلها، والمقيمين فيها، والموظفين، والعسكريين[٣].

أ: العملية التنظيمية الشاملة للحلقات التعليمية في العصر السعودي:

بعد تأسيس المملكة العربية السعودية سار صاحب الجلالة الملك عبد العزيز – رحمه الله– بالبلاد سيرًا حثيثًا لتحقيق الأمن والاستقرار، بيد أن الدخل المادي للمملكة كان محدودًا قبل اكتشاف النفط وتصديره تجاريًا، وكان اكتشاف النفط بكميات تجارية منذ عام ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م قد ساعد على التطور في كافة المجالات بالمملكة؛ وحكم الملك عبد العزيز –رحمه الله– المملكة طوال نصف قرن، وفي أواخر عهده كان يعاونه في الحكم وليّ عهده الأمير سعود ، وفي يوم الاثنين في الثاني من ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م وافاه الأجل –رحمه الله– وتولى بعده ابنه الملك سعود (ربيع الأول ١٣٧٣هـ– جمادى الآخرة ١٣٨٤هـ)[٤].

مرت فترة غير قصيرة قبل أن تصحو المدينة من صدمتها وتتخلص من آثار حصار استمر ثلاث سنوات ونيف، وأخذت المدينة تستعيد عافيتها ببطء، وكان المسجد النبوي أول ميدان ثقافي تعود إليه الحياة، حيث عاد إليه عدد من الشيوخ أمثال: الشيخ محمد الطيب الأنصاري، والشيخ إبراهيم بري، والشيخ عمر الكردي الكوراني، والشيخ أحمد كماخي، والشيخ أحمد شمس الشنقيطي، والشيخ خضر الشنقيطي[٥].

---

(١) المدينة المنورة في التاريخ دراسة شاملة، عبد السلام هاشم حافظ، ص١٩٤.

(٢) تاريخ ملوك آل سعود، سعود بن هذلول، ص١٧٣– ١٧٦.

(٣) ذكريات العهود الثلاثة، محمد حسين زيدان، ص١٦٣.

(٤) مختصر تاريخ الدولة السعودية للفترة من (١١٥٧-١٤٣١هـ/١٧٤٤-٢٠١٠م)، فيصل بن مشعل بن سعود، جامعة المجمعة، د.ت، ص٩١-٩٢.

(٥) الرحلة النجدية الحجازية، محمد لبيب البتنوني، الطبعة الثالثة، مكتبة المعارف، الطائف– المملكة العربية السعودية، د.ت، ص٣٧.

وكان أول مظهر لعودة الحياة الثقافية في المسجد النبوي الحلقات التعليمية، ففي اليوم الثالث لتسلم الأمير محمد بن عبد العزيز المدينة المنورة اهتم بتنظيم شؤون المسجد النبوي، فولى الشيخ إبراهيم القاضي منصب الخزينة النبوية وهي تجمع بين إدارة الحرم وهيئة الأوقاف، وعين الشيخ زين العابدين مديراً للحرم[١].

وعقدت حلقات التدريس في رحاب المسجد النبوي مرة أخرى، وكان فيما قبل العصر السعودي تتراوح أعداد الطلاب في الحلقات ما بين عشرين إلى مائتي طالب، وأساليب التدريس متمحورة حول المعلم، ولم يكن التعليم مكلفاً في هذه الصيغ التقليدية للتعليم، وتؤكد لنا الوقائع التاريخية أن الملك عبد العزيز عندما دخل الحجاز لم يكن بها سوى عدد محدود من المدارس النظامية[٢].

مجلس الإشراف الديني- رئاسة شؤون الحرمين واختصاصاتها- الرئاسة العامة لشؤون المسجد النبوي- إدارة شؤون التدريس:

قامت المملكة العربية السعودية منذ بدايات عهد صاحب الجلالة الملك عبد العزيز -رحمه الله- بتشكيل مجلس للإشراف على شؤون التدريس في الحرم النبوي، عُرِف باسم "مجلس الإشراف الديني"، وقد رأس هذا المجلس فضيلة رئيس محاكم منطقة المدينة المنورة الشرعية الشيخ عبد العزيز بن صالح -رحمه الله-، وعند تأسيس الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، بناءً على قرار اللجنة العليا للإصلاح الإداري رقم ٧٩ في ٣ محرم ١٣٩٨هـ، جرى ضم مجلس الإشراف الديني لرئاسة شؤون الحرمين الشريفين[٣]، وحددت من ضمن اختصاصاته: اقتراح تعيين المدرسين بالمسجد النبوي وعزلهم، وكذلك إصدار الأذن والتصاريح للمدرسين، والوعاظ، والإشراف على تطبيق اللائحة الخاصة بالمدرسين الصادرة عن الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، وبناءً على ذلك قامت وكالة الرئاسة العامة لشؤون المسجد النبوي بإنشاء إدارة خاصة بشؤون التدريس، تقع في الجهة الشمالية للحرم النبوي، ومهمة هذه الإدارة تحديد أوقات وأماكن التدريس الخاصة بكل مدرس[٤].

---

(١) ذكريات العهود الثلاثة، محمد حسين زيدان، ص١٢٥.

(٢) التعليم في العهد السعودي مع التركيز على المسجد الحرام- رؤية تاريخية، محمد بن شحات حسين الخطيب، وزارة التعليم العالي، جامعة طيبة، كلية التربية، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية، ١٤٣٦هـ، ص٨.

(٣) الدور التربوي للمسجد النبوي الشريف، سعود بن بنيان، ص١٨٣.

(٤) المرجع السابق، سعود بن بنيان، ص١٨٤.

حيث تقوم إدارة شؤون التدريس بتنسيق جدول الدروس شهريًا بالاتفاق مع أصحاب الفضيلة مدرسي المسجد النبوي يبين فيه أوقات التدريس والكتب التي سوف يدرسونها، ويوزع هذا الجدول على طلبة العلم، كما تنسق دروس علمية تقام بالمسجد النبوي لأصحاب الفضيلة أعضاء هيئة كبار العلماء عند زيارتهم للمدينة المنورة(١).

وهذه الاجراءات التي تصب في تطوير التعليم كانت نابعة من رؤية صاحب الجلالة الملك عبد العزيز –رحمه الله– بعيدة المدى في النظر إلى المستقبل القريب أو البعيد، فقد كان يدرك –رحمه الله– أنه ليس بمخلد، وأن من سيأتي بعده لابد أن يستمر على أساس، هذا الأساس هو العلم والمعرفة باعتبارهما وسائط الرؤية الثاقبة، لكي يتمكن المواطنون من رؤية التحديات التي تواجههم كما هي وليس بصورة ضبابية أو وهمية، لذا جعل من التعليم في المملكة –والحلقات التعليمية بالمسجد النبوي جزء منها– من أهم أولويات العمل السياسي لأبنائه من بعده(٢).

فها هو الأمير سعود بن عبد العزيز –ولي العهد آنذاك– يأمر بالتعاقد مع عدد كبير من العلماء للتدريس بحلقات المسجد النبوي، كما يأمر بوضع مناهج علمية شاملة لهذه الغاية؛ بحيث يتسنى لطلاب العلم من أهل المدينة المنورة، والوافدين تلقي العلم بالمسجد وحلقاته بصفة منتظمة، بل يصل إلى أسماعنا أن الأمير سعود بن عبد العزيز يقول للشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم: "إذا رأيت أحد العلماء جاء إلى الحج، ويصلح للتدريس في المسجد النبويف أخبرنا"، فجاء الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، وكان بحرًا في العلوم، فرفع ولي العهد أمره إلى صاحب الجلالة الملك عبد العزيز – رحمه الله– فوافق على بقائه مدرسًا في المسجد النبوي، ثم أُعْطِيَ الجنسية السعودية(٣).

كما تم اختيار العالم محمد بن أحمد الشهير بألفا هاشم الفوتي، من قِبَلْ المغفور له الملك عبد العزيز ليكون عضوًا بمجلس الشورى تقديرًا لعلمه ومنزلته الاجتماعية، إذْ كان يعد زعيمًا لبني قومه بأفريقيا الغربية، وكانت له حلقة علم بالمسجد النبوي(٤).

---

(١) وسائل الدعوة إلى الله تعالى في المسجد النبوي، إعداد إدارة التوجيه والإرشاد بالمسجد النبوي، الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، وكالة الرئاسة العامة لشؤون المسجد النبوي، المملكة العربية السعودية، ص١٥.

(٢) التعليم في العهد السعودي، محمد بن شحات حسين الخطيب، ص١٥.

(٣) المدينة المنورة في عهد الملك عبد العزيز-١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م إلى ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م، فهد بن مرزوق بن هلال اللحياني، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص٣٥٥.

(٤) حلقات العلم في الحرمين الشريفين ودورها في صياغة المعطيات الثقافية والفكرية – حقبة القرون ١٢– ١٣– ١٤ هجرية، عاصم حمدان علي الغامدي، مجلة جامعة الملك عبد العزيز الآداب والعلوم الإنسانية، مج١٢، السعودية، ٢٠٠٤م، ص٣٣٤.

وعندما تولى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود (شعبان ١٤٠٢هـ/ جمادى الثانية ١٤٢٦هـ): مقاليد الحكم، أشرف بنفسه على مشروعات توسعة الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة. وحرصًا من جلالته على الاهتمام بالتعليم والتثقيف فقد كان من ضمن توجيهاته الكريمة استمرار الحرم النبوي الشريف في تأدية رسالته، ورصد مكافآت خاصة للعلماء الذين يلقون دروسهم، مع الحسم على كل من يتخلف عن أداء واجبه، وكلف بهذا وكالة الرئاسة لشؤون الحرمين الحريصة على استمرارية التعليم وعدم انقطاعه[١].

وبحسب بعض الإحصاءات فأثناء حكم الملك فهد –رحمه الله– كان هناك (٢٤) حلقة تعليمية تابعة للوكالة العامة لشؤون المسجد النبوي، تشرف عليها إدارة شؤون التدريس في المسجد، موزعة على جميع أنحاء المسجد النبوي، ومخصصة لتعليم الرجال القرآن الكريم، وكان عدد المعلمين بها (١٤) معلمًا في أوقات مختلفة، كما وجد في القسم النسوي حلقات تابعة لذات الوكالة يبلغ عدد المعلمات الأساسيات (١٠) معلمات في عام ١٤٢٤هـ زاد هذا العدد إلى الضعف بعد ذلك، فضلًا عن تخصيص حلقات خاصة بالأطفال من خمس إلى ست سنوات للذكور، ومن خمس إلى ثمان سنوات للإناث[٢].

وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله آل سعود –رحمه الله بلغت حلقات تعليم القرآن الكريم (٣٢) حلقة، تقام بعد صلاة الفجر والعصر والمغرب والعشاء طوال أيام الأسبوع، ويتم إعطاء إجازات القراءة من مدرسي هذه الحلقات لطلابهم، وتكون الإجازة برواية واحدة أو عدة روايات أو بالقراءات السبع أو الثلاث أو العشر الصغرى أو الكبرى إو إجازة بمتن من متون التجويد[٣].

كما سبق ووجد في عهد الملك فهد –رحمه الله– بمكتبة الحرم النبوي الشريف آلاف الأشرطة الصوتية للعديد من المشايخ وجميعهم ممن يدرسون بالحرم النبوي، والبعض منهم متفرغ والبعض أساتذة في الجامعة الإسلامية، وجامعة الإمام، وجامعة

---

(١) تطور بعض خدمات الحرم النبوي الشريف في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، وزارة التعليم العالي، رضوان فضل الرحمن الشيخ، صدرت بمناسبة مرور ٢٠ عامًا على تولي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز مقاليد الحكم، ١٤٠٢هـ/ ١٤٢٢م، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، جامعة أم القرى مكة المكرمة– المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ، ص٧٠.

(٢) الوسائل الدعوية في المسجد النبوي في العصر الحاضر، بركة بنت مضيف بن علي الطلحي، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة، قسم الدعوة والاحتساب، إشراف يوسف أمين أحمد (دكتور)، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ، ص١٣٤-١٣٦.

(٣) وسائل الدعوة إلى الله تعالى في المسجد النبوي، إعداد إدارة التوجيه والإرشاد، ص١٠-١١.

الملك عبد العزيز، وبعضهم قضاة في المحكمة الشرعية منهم: الشيخ عبد المحسن العباد، والشيخ عطية سالم، والشيخ عبد الله الغنيمان، والشيخ عمر محمد فلاته، والشيخ حامد بكر فلاته، والشيخ علي بن محمد سنان، والشيخ أبو بكر الجزائري، والشيخ عبد العزيز الشبل، والشيخ محمد السحيباني، والشيخ علي الغامدي، والشيخ صالح السحيمي، والشيخ عمر حسن فلاته، والشيخ محمد أمان الجامي، والشيخ محمد علي بن ثاني[١].

زودت التوسعة الفهدية المسجد النبوي الشريف بخدمة محطة إذاعية لتسجيل ونقل الشعائر، تحتوي على أجهزة تسجيل ونقل الصوت إلى مركز البث في جدة، حيث تذاع على الهواء مباشرة، ويتم من خلالها تسجيل ونقل الدروس الدينية من حلقات العلم في الحرم النبوي الشريف، وكذلك تسجيل الندوات الإذاعية، ونقل الآذان، والصلوات، كما أقيمت في ذات العهد محطة تلفازية مزودة بكاميرات حديثة تغطي جوانب المسجد النبوي وتؤدي الأغراض سابقة الذكر[٢] .

كما تم في عهد الملك فهد –رحمه الله– إنشاء قسم المكتبة الصوتية يضم (٢٥) ألف شريط لدروس وحلق العلم المقامة في المسجد النبوي، وتسجيلات للقرآن الكريم بأصوات الأئمة أثناء الصلوات الجهرية داخل المسجد النبوي[٣].كما تم فتح شبكة الصوت لتنقل دروس الحلقات التعليمية من قسم الرجال إلى قسم النساء[٤]. ومما يسهل على النساء مهمة التسجيل، إمكانية طلب تسجيل هذه الدروس من المكتبة النسائية، كما يمكنهن اختيار ما يرغبن في تسجيله من تلك الدروس من الفهارس المخصصة لذلك، يضاف إلى ذلك شرح كتابي "التوحيد"، و"الأصول الثلاثة" للشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله– يقوم بشرحها بعض المعلمات المؤهلات، كما يتولى أحد المشايخ الإجابة عن أسئلة النساء الفقهية طوال العام، وبخاصة في موسمي الحج، ورمضان[٥].

وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود – رحمه الله– أُولَت الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الجانب

(١) تطور بعض خدمات الحرم النبوي الشريف، رضوان فضل الرحمن الشيخ، ص٧١.

(٢) المرجع السابق، رضوان فضل الرحمن الشيخ، ص٧٧.

(٣) المرجع السابق، رضوان فضل الرحمن الشيخ، ص٨٠–٨١.

(٤) الوسائل الدعوية في المسجد النبوي، بركة بنت مضيف، ص١٤٨.

(٥) المرجع السابق، بركة بنت مضيف، ص١٥٨.

الإرشادي والدعوي عنايتها وجُلَّ اهتمامها فعملت على زيادة الأئمة، والموجهين، والمدرسين، وفتح حلقات لتحفيظ القرآن الكريم، وحلقات لحفظ المتون العلمية، وتقوم وكالة الرئاسة العامة بزيادة عدد المدرسين في موسم الحج وحث المدرسين على زيادة الدروس، بل أصبحت الدروس تُلقى في هذا الموسم بلغات الحجاج في المسجد النبوي، مثل اللغات الهندية، والأوردية والبشتو، والفرنسية، والفلاتية (الفلاتا)، والتركية والإندونوسية، والإنجليزية[١].

ويعاد بث دروس تلك الحلقات التعليمية في الأوقات التي لا توجد فيها دروس مباشرة، حيث تبث عبر شبكة الصوت مباشرة، أو بالأشرطة إلى القسم النسائي، لتعم الفائدة للرجال والنساء، كما يسمح لأي راغب في العلم أن يسجل ما شاء من أشرطة الدروس من الرجال والنساء[٢]، ففي عام ١٤٣٣هـ فقط تم نسخ (٥٩٩٦٨) شريطًا، وسجل للرواد ما مجموعه (٥٦٨٨٧٠ جيجا بايت) على الهاردِّسك، والفلاش، بالإضافة إلى تسجيل دروس بغير العربية بحلقات المسجد النبوي بالإنجليزية، والفرنسية، والأردية، والفارسية، والإندنوسية، والتركية، وتم إحصاء عدد الجنسيات المستفيدة من تسجيل الدروس وخلافها من المكتبة الصوتية فبلغت أكثر من (١٠٠) جنسية[٣].

أنواع العلوم التي تدرس بالحلقات التعليمية في العصر السعودي وأشهر أصحاب الحلقات:

ركز النظام السعودي منذ بدايته على أن تُدرس في الحلقات التعليمية بالمسجد النبوي القرآن الكريم، والتوحيد، والتفسير، والحديث، والفقه على المذاهب الأربعة، واللغة العربية، وكذلك القيام بالوعظ، والإرشاد، ومحاربة البدع، والخرافات[٤]، وفي شهر رمضان المبارك ونظرًا لكثرة الزوار فإن دروس الحلقات يتجه أكثرها لشرح أحكام الصيام والاعتكاف، وتكون الدروس غالبًا بعد صلاة العصر لما يستحبه الكثير من التفرغ للعبادة في هذا الشهر المبارك، أما في موسم الحج فتتجه الدروس إلى شرح أحكام مناسك الحج[٥].

---

(١) وسائل الدعوة إلى الله تعالى في المسجد النبوي، إعداد إدارة التوجيه والإرشاد، ص٨، ٣٦.

(٢) الوسائل الدعوية في المسجد النبوي، بركة بنت مضيف، ص١٣٨.

(٣) وسائل الدعوة إلى الله تعالى في المسجد النبوي، إعداد إدارة التوجيه والإرشاد، ص٤٥.

(٤) المدينة المنورة في عهد الملك عبد العزيز، فهد بن مرزوق بن هلال اللحياني، ص٣٥٢.

(٥) وسائل الدعوة إلى الله تعالى في المسجد النبوي، إعداد إدارة التوجيه والإرشاد، ص٣٥.

والمتتبع للدروس في المسجد النبوي، يلحظ الاهتمام أثناء العصر السعودي عامة بدروس العقيدة، وأن الكتب التي شرحت فيها أكثر من أي فرع من فروع العلوم الأخرى[١].

وكانت الدراسة في الحلقات التعليمية في عهد الملك عبد العزيز –رحمه الله– تبدأ عادة من بعد صلاة الفجر إلى ما بعد صلاة العشاء، وكان الطالب له حق اختيار المادة التي يرغب في دراستها، وكانت الإجازة الأسبوعية عصر يوم الثلاثاء، والخميس، ويوم الجمعة –اليوم كله، وفي الأعياد الرسمية[٢].

وفي ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م، صدرت التعليمات التي تسير عليها هيئة مراقبة الدروس، ومن أهم تلك التعليمات:

١–تخصيص حلقات المسجد النبوي لإلقاء كل العلوم الدينية، والأولية، ومنع التدريس في البيوت، والمدارس عدا المدارس الحكومية ومدرسة دار العلوم الشرعية.

٢–أن يكون المدرس في حلقات المسجد النبوي كفئًا في تخصصه، سليم المعتقد، على مذهب أهل السلف الصالح، ومنع غير الكفء من التدريس.

٣–يشترط على من يرغب في التدريس سواء في الحلقات التعليمية أم المدارس النظامية الحصول على إذن من هيئة مراقبة الدروس بعد التأكد من علمه، وصحة معتقده[٣].

ومن الحلقات التعليمية المشهورة مع بداية العصر السعودي حلقة الشيخ عبد الرحمن الأفريقي، والذي كان يلتف حوله كل طالب علم، وإليه تَرِدُ الاستفسارات من أنحاء العالم الإسلامي، فيؤلف فيها ما ينير السبيل ، فلقد كانت مآثر الشيخ في التأليف والتدريس قد سار ذكرها؛ مما أكسبه ثقة أهل الفضل من حكام المملكة، لذلك لم يكد ينشأ أول معهد علمي في الرياض عاصمة المملكة حتى أختير للتدريس فيها، ولما أنشئت كلية الشريعة هناك، تم اختياره لتدريس الحديث بها، إلا أن الشيخ لم ينقطع عن

(١) الوسائل الدعوية في المسجد النبوي، بركة بنت مضيف، ص١٥٧.

(٢) التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبد العزيز نشأته وتطوره، عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش، الطبعة الأولى، مكتبة الطلاب الجامعي، مكة– المملكة العربية السعودية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص١١٤.

(٣) المدينة المنورة في عهد الملك عبد العزيز، فهد بن مرزوق بن هلال اللحياني، ص٣٥٣.

المدينة المنورة، فما كان يظفر بإجازة الصيف حتى يعود إليها ليجدد صلته بمسجدها الشريف، وبطلابه الحريصين على ملازمته للانتفاع بعلمه[1].

وقد اشتهر في العصر السعودي العديد من العلماء الذين يُدَرسُون في الحرم النبوي منهم، أصحاب الفضيلة المشايخ: الشيخ عطية محمد سالم، وتقع حلقته في التوسعة الأولى بين الحصوتين، ويدرس أيام الجمعة، والسبت، والأحد من كل أسبوع، والشيخ عمر حسن فلاته، وتقع حلقته في التوسعة الأولى أمام باب عمر، ويدرس طوال الأسبوع عدا الخميس، والشيخ عمر محمد فلاته، ويقع حلقته في مقدمة المسجد خلف المكبرية، ويدرس طوال الأسبوع عدا الخميس، والشيخ حماد الأنصاري، والشيخ علي الحذيفي، والشيخ عبد المجيد الآبادي، والشيخ عبد المحسن العباد، والشيخ أبو بكر الجزائري وتقع حلقته في التوسعة الجنوبية الغربية ويدرس طوال الأسبوع، والشيخ حامد بكر فلاته، والشيخ علي سنان، والشيخ عبد الله محمد غنيمان، والشيخ عبد العزيز الشبل، وتقع حلقته في مقدمة المسجد، ويدرس طوال الأسبوع، والشيخ محمد أمان الجامي[2]، والشيخ عبد القادر شيبه الحمد، والشيخ محمد بن علي ثاني، وتقع حلقته في التوسعة الأولى، ويدرس طوال الأسبوع عدا يومي الاثنين والخميس، والشيخ محمد ناصر السحيباني، وتقع حلقته في مقدمة المسجد بين باب الصديق والرحمة، ويدرس يومي الاثنين والثلاثاء فقط، والشيخ صالح بن عبد الله العبود، وتقع حلقته في التوسعة الأولى في الخلف، ويدرس أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء، والشيخ علي بن ناصر فقيهي، وتقع حلقته في التوسعة الجنوبية الغربية، ويدرس يومي الأحد والجمعة، والشيخ صالح بن سعد السحيمي، وتقع حلقته في التوسعة الأولى، ويدرس يومي السبت والأحد فقط، والشيخ حسين بن عبد العزيز آل الشيخ، عبد المحسن بن حمد العباد البدر، وتقع حلقته في مقدمة المسجد ويدرس طوال الأسبو عدا يوم الخميس، والشيخ محمد بن حمود الوائلي، وتقع حلقته في التوسعة الجنوبية الشرقية، ويدرس يومي الثلاثاء والأربعاء، والشيخ عبد العزيز الشبل، والشيخ محمد بن محمد المختار، والشيخ علي بن سعيد الغامدي، والشيخ علي بن عبد الرحمن الحذيفي، وتقع حلقته في التوسعة الأولى بين الحصوتين، ويدرس يومي الاثنين والثلاثاء، والشيخ صالح اللحيدان، والشيخ صالح

---

(1) الدور التربوي للمسجد النبوي الشريف، سعود بن بنيان، ص١٨٧-١٨٨.

(2) تطور بعض خدمات الحرم النبوي الشريف، رضوان فضل الرحمن الشيخ، ص٧٠-٧١، الدور التربوي للمسجد النبوي الشريف، سعود بن بنيان، ص١٩٠- ١٩١.

بن فوزان الفوزان، والشيخ محمد بن صالح العثيمين[1]، وغيرهم كثر بارك الله لنا في علمهم، ورحم منهم من انتقل إلى جواره وحفظ لنا من ما زال يكمل رسالته في عالمنا الإسلامي.

وفي إحصائية عام ١٤٣٣هـ وصل عدد من أتموا حفظ خمسة أجزاء خلال هذا العام فقط، (٦٣٤) طالبًا؛ وعدد الذين أتموا حفظ عشرة أجزاء (٥٣) طالبًا، وعدد الذين أتموا حفظ خمسة عشر جزءًا (٢٩) طالبًا، وعدد الذين أتموا حفظ عشرين جزءًا (١٦) طالبًا، وعدد الذين أتموا حفظ خمسة وعشرين جزءًا (٨) طلاب، وعدد الذين أنعم الله عليهم بإتمام حفظ القرآن الكريم كاملًا (٣٧) طالبًا[2].

(1) وسائل الدعوة إلى الله تعالى في المسجد النبوي، إعداد إدارة التوجيه والإرشاد، ص١٦- ٣١، ٣٤؛ المرجع السابق، سعود بن بنيان، ص١٩٠-١٩١.
(2) وسائل الدعوة إلى الله تعالى في المسجد النبوي، إعداد إدارة التوجيه والإرشاد، ص١٤.

الخاتمة وأهم النتائج:

وبعد هذا التطواف في رحاب جزء من تاريخ المسجد النبوي، وبعد محاولاتنا التماس الدور الثقافي للحلقات التعليمية الذي لا ندعي كشف جوانبه، أو تمكننا من رصد كافة مشايخه وطلابه ومواضيعه عبر الحقب الزمنية المتتالية، إلا أننا ندعي أننا تمكنا من لمس الدور الريادي للمسجد النبوي الشريف، فكما كان دار عبادة، كان صرحًا تربويًا وجامعة إسلامية تلقى فيها الدروس، وكانت الحركة التعليمية داخل الحلقات التعليمية شبيةً بالموج في المد والجزر حسب التغيرات السياسية والوقائع التاريخية لكل عصر، إلى أن كتب الله(ﷻ) للحلقات التعليمية بالمسجد النبوي بلوغ أزهى ازدهار ثقافي ومعرفي لها على يد آل سعود –حفظهم الله–، ولعل من **أهم النتائج** التي خلص إليها البحث:

١- المسجد النبوي مؤسسة إسلامية أدت أغراضًا دينية وسياسية عبر العصور.

٢- حث الرَّسُولُ(ﷺ) أصحابه على الجلوس بحلقات العلم منذ بنائِه المسجد النبوي.

٣- نبع اهتمام الخلفاء الراشدين للحلقات التعليمية نتيجة لاقتدائهم بالمعلم الأول(ﷺ).

٤- مكانة المدينة المنورة دينيًّا لم تتأثر نتيجة تغير مكانتها السياسية في العصرين الأموي والعباسي، حيث شهد المسجد النبوي ازدحامًا بالصحابة والتابعين وتابعي التابعين الذين أبوا إلا جوار الرسول وحمل رسالته إلى طلاب العلم فازدهرت بهم الحلقات العلمية.

٥- ذبلت حلق العلم فترة زمنية، وإن لم تختفِ عن المسجد النبوي نتيجة لتلاحق المحن والتغيرات السياسية زمن المماليك، ولقد تأثرت الحركة العلمية في المدينة المنورة من جراء الأحداث التاريخية التي مرت بها الجزيرة العربية بعامة والحجاز بخاصة، ومع هذا كانت المدينة تأوي إليها أفئدة كثير من العلماء، يُحصِّلون العلم ويفيدونه، فيكونون مصدر علم.

٦- الدولة العثمانية لم تهتم بإدخال أي تطورات أو تحسينات لتنشيط الحركة العلمية بالمدينة المنورة، فالجهود التي كانت تبذل للتعليم في المدينة آنذاك هي جهود فردية، ليس للحكومة العثمانية أي تدخل في شؤونها.

٧- وكان أول مظهر لعودة الحياة الثقافية في المسجد النبوي الحلقات التعليمية، ففي اليوم الثالث لتسلم الأمير محمد بن عبد العزيز المدينة المنورة، اهتم بتنظيم شؤون المسجد النبوي.

٨- الصورة العامة للحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر السعودي متدرجة الألوان، بدأت بسيطةً إثر مرحلة جمود وكمون بسبب القلاقل السياسية والأمنية التي شهدتها المدينة قبيل العصر السعودي، ثم أخذت في السطوع والارتقاء، وبلغت في بعض جوانبها درجة التميز ومجاراة المراكز المدنية الكبرى رغم قلة الإمكانات وضعف التجهيزات.

٩- أصبح للحلقات التعليمية في المسجد النبوي في العصر السعودي نظام ومنهج لأول مرة في التاريخ وأصبح له مؤسسات ليس لها دور إلا إنجاح المسجد النبوي في أداء رسالته.

١٠-أصبح من أهداف حلق العلم في العصر السعودي بالمسجد النبوي تمكين الانتماء الحي لأمة الإسلام الحاملة لراية التوحيد. وتكوين الوعي الإيجابي الذي يواجه به إنسان العصر الأفكار الهدامة والاتجاهات المضللة.

التوصيات

١- الدعوة لمشروع بحثي لترجمة كافة مشايخ وأساتذة الحلقات التعليمية في المسجد النبوي.

٢- الدعوة لعقد مؤتمر علمي بعنوان "الدور الحضاري لحلقات العلم بين مكة والمدينة في عصر آل سعود".

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا: المصادر:

١- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد ابن علي الكناني العسقلاني المصري (ت٨٥٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ج١، ج٣، ج٤، ج٧.

٢- تاريخ المدينة المنورة، لابن شبّه، لأبي زيد عمر بن شبّه النميري البصري (ت٢٦٢هـ)، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج١.

٣- تاريخ المدينة المنورة المسمى نصيحة المشاور وتعزية المجاور، لابن فرحون، أبو محمد عبد اللهبن محمد بن فرحون المالكي (ت٧٦٩هـ)، قابل أصوله وعلق عليه حسين محمد علي شكري، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت- لبنان،١٤١٦هـ.

٤- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة، للسخاوي، لأبي الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ)، عني بطبعه أسعد طرابزوني الحسيني، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٥- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للسيوطي، الحافظ جلال الدين (ت٩١١هـ)، تحقيق أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الطبعة الثانية، مكتبة الكوثر، بيروت- لبنان، الرياض-المملكة العربية السعودية، ١٤١٥هـ، ج١، ج٢.

٦- تذكرة الحفاظ، للذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد (ت٧٤٨هـ)، صحح بعناية وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٣٧٤هـ، ج١.

٧- الجامع الصحيح -وهو سنن الترمذي، للترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت٢٩٧هـ)، تحقيق إبراهيم عطوه عوض، الطبعة الثانية، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ج٥.

٨- صحيح البخاري، البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، الطبعة الأولى، دار ابن كثير، دمشق-سوريا، بيروت- لبنان، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٩- الطبقات الكبير، لابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت٢٣٠هـ)، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ج٢، ج٣،ج٧.

١٠- المرور بين العلمين في مفاخرة الحرمين، للزرندي المدني، نور الدين علي بن محمد الحنفي، تحقيق محمد العيد الخطراوي، الطبعة الأولى، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية،١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١١- ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، لابن رشيد الفهري السبتي، أبو عبد الله محمد بن عمر (ت٧٢١هـ/ ١٣٢١م)، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ج٥.

١٢- موطأ الإمام مالك، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبوظبي- الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ج١.

١٣- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، السمهودي، نور الدين علي بن أحمد (ت٩١١هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ج٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

ثانيًا: المراجع:

١٤- أئمة المسجد النبوي في العهد السعودي ١٣٤٥- ١٤٣٦هـ، لعبد الله بن أحمد آل علاف الغامدي، الطبعة الثانية، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، دار الطرفين، الطائف- المملكة العربية السعودية، ١٤٣٦هـ.

١٥- بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار الفكر، بيروت- لبنان، ج١.

١٦- تاريخ ملوك آل سعود، لسعود بن هذلول، تقديم وإشراف محمد العبودي، الرياض- المملكة العربية السعودية، ١٣٨٠هـ.

١٧- تطور بعض خدمات الحرم النبوي الشريف في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، وزارة التعليم العالي، لرضوان فضل الرحمن الشيخ، صدرت بمناسبة مرور ٢٠ عامًا على تولي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز مقاليد الحكم، ١٤٠٢هـ/ ١٤٢٢م، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، جامعة أم القرى مكة المكرمة- المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ.

١٨- التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبد العزيز نشأته وتطوره، لعبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش، الطبعة الأولى، مكتبة الطلاب الجامعي، مكة- المملكة العربية السعودية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٩- التعليم في المدينة المنورة من العام الهجري الأول إلى ١٤١٢هـ/ ٦٢٢م-١٩٩٢م دراسة تاريخية وصفية تحليلية، لناجي محمد حسن عبد القادر الأنصاري، الطبعة الأولى، دار المنار، القاهرة-مصر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٢٠- التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني، لمحمد عبد الرحمن الشامخ، الطبعة الثانية، الرياض- المملكة العربية السعودية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٢١- توحيد المملكة العربية السعودية، محمد المانع، ترجمة عبد الله الصالح العثيمين، الطبعة الثانية، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض- السعودية، ١٤١٥هـ/٢٠١٢م.

٢٢- الحياة الفكرية في المدينة المنورةفي القرنين الأول والثاني للهجرة، لعدنان علي الفراجي، الطبعة الأولى، الدار العربية للموسوعات، بيروت- لبنان، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٢٣- دور المملكة العربية السعودية في العالم الإسلامي، لمحمد صادق محمد إسماعيل، الطبعة الأولى، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ١٤١٣هـ/٢٠١٠م.

٢٤- الدولة والمجتمع- محددات تكوّن الكيان السعودي، محمد بن صنيتان، الطبعة الأولى، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت- لبنان، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٢٥- ذكريات العهود الثلاثة، محمد حسين زيدان، الرياض- المملكة العربية السعودية، ١٤٠٨هـ.

٢٦- الرحلة النجدية الحجازية، لمحمد لبيب البتنوني، الطبعة الثالثة، مكتبة المعارف، الطائف- المملكة العربية السعودية، د.ت.

٢٧- مختصر تاريخ الدولة السعودية للفترة من (١١٥٧-١٤٣١هـ/١٧٤٤-٢٠١٠م)، لفيصل بن مشعل بن سعود، جامعة المجمعة، د.ت.

٢٨- المدينة المنورة في التاريخ دراسة شاملة، لعبد السلام هاشم حافظ، الطبعة الثالثة، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي، طبعة الوكالة العامة للتوزيع، دمشق- سوريا، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٢٩- المدينة المنورة في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م) دراسة تاريخية، لعبد الرحمن مديرس المديرس، الطبعة الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض- المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٣٠- نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، للسيد محمد عبد الحي الكتاني، تحقيق عبد الله الخالدي، الطبعة الثانية،دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت- لبنان، ٢٠١٦م، ج٢.

٣١- وسائل الدعوة إلى الله تعالى في المسجد النبوي، إعداد إدارة التوجيه والإرشاد بالمسجد النبوي، الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، وكالة الرئاسة العامة لشؤون المسجد النبوي، المملكة العربية السعودية.

ثالثًا: الرسائل العلمية والمقالات:

٣٢- حلقات العلم في الحرمين الشريفين ودورها في صياغة المعطيات الثقافية والفكرية – حقبة القرون ١٢- ١٣- ١٤ هجرية، لعاصم حمدان علي الغامدي، مجلة جامعة الملك عبد العزيز الآداب والعلوم الإنسانية، مج١٢، السعودية، ٢٠٠٤م.

٣٣- التعليم في العهد السعودي مع التركيز على المسجد الحرام- رؤية تاريخية، لمحمد بن شحات حسين الخطيب، وزارة التعليم العالي، جامعة طيبة، كلية التربية، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية، ١٤٣٦هـ.

٣٤- الدور التربوي للمسجد النبوي الشريف، لسعود بن بنيان بن عواد الصيدلاني الجهني، رسالة ماجستير ، إشراف السعيد محمود السعيد، قسم التربية الإسلامية، كلية التربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ.

٣٥- رسالة المسجد التربوية، لعبد العزيز راشد علي الرشيد، رسالة ماجستير، إشراف د/ ربيع عمر بشير، قسم التربية، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٣٦- المدينة المنورة في عهد الملك عبد العزيز-١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م إلى ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م، لفهد بن مرزوق بن هلال اللحياني، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٣٧- الوسائل الدعوية في المسجد النبوي في العصر الحاضر، بركة بنت مضيف بن علي الطلحي، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة، قسم الدعوة والاحتساب، إشراف يوسف أمين أحمد (دكتور)، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ.